

الفاطمية والدعوة الوسطية

الدكتور حسن عيسى الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) .

(وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

إن الحديث عن الفاطمية والدعوة الوسطية في البرنامج السياسي والعقائدي يستدعي تبين التاريخ الفاطمي لأستخلاص الوسطية منه كما أشار القرآن الكريم والحديث الشريف وسيرة آل البيت عليهم السلام لهذا المنهج بوضوح، فقد كان المؤسس الفكري الأول للفاطمية هو الإمام علي عليه السلام، فقد أشار إلى الوسطية بقوله: (الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) فإن هذا الخط الإنساني الواضح السليم، يجب أن نأخذه بعين الاعتبار والتطبيق في حياتنا المعاصرة فإنه يحتوي على العالمية والإنسانية، فإن الشعوب والأمم والقوميات سوف تنصهر في هذه المنهجية وإن رسالة الإمام علي عليه السلام لواليه على مصر ممالك الأشر تطبق عملي لسياسته الوسطية فيقول: (لا تكن عليهم سبعا ضارياً) ولم يستطع آل البيت رضوان الله عليهم تطبيق المنهجية العلوية هذه إلا بعد أن تأسست الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا والدولة العلوية في طبرستان، فالدولة الفاطمية ارتكزت في دعوتها على دعامتين أساسيتين هما:

- ١- إحياء إرث وتراث آل البيت، الذي أطبق عليه أكثر من قرنين من الزمن.
- ٢- توضيح فلسفة الإمامة في قيادة الأمة وبعدها الديني كما الحديث الشريف (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي).

وفي الحقيقة أن الفاطميين لم يفرضوا مذهب الإسماعيلية على الناس بالقوة أو الإكراه. إذ تركوا الناس أحراراً في المعتقدات الفقهية والعقائدية، فقد كان في الأزهر الشريف في القاهرة مواضع للمذاهب الأربعة، فأضيف إليها المذهب الإسماعيلي، فقد كانت الحرية الدينية والمذهبية متاحة للجميع وتمارس بصورة علنية .

ونأمل أن تكون الدولة الفاطمية الثانية تأخذ هذه المنهجية وتسير على هذا المسار، وهذا يستلزم تطبيق ما يلي:

١- إحياء الجهود المشكورة التي يبذلها علماء المسلمين من أجل تفعيل فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية، لأنها وسيلة لتحقيق الوحدة الإسلامية وتأسيس روح الألفة والمودة بين المسلمين.

٢- العمل على إقامة مؤتمرات تسعى إلى الحوار الهادف والهاديء بين جميع مذاهب المسلمين.

وكانت الدولة الفاطمية الأولى قد سعت إلى تطبيق هذا المنهج الإسلامي، فما علينا اليوم إلا إحياءه حتى نطوِّق الإرهاب ونقضي على العنف، ولعل الحواريات والمناظرات الفكرية لها وقع كبير في تهميش الإرهاب، فقد كان المسلمون بالأمس يتحاورون ويتناظرون حتى أوصلوا الفكر الإسلامي إلى القمة، ولم تكن بين المتناظرين وإن اختلفوا في الرأي أية تقاطع يؤدي إلى عرقلة الوحدة فقد كانت الكلمة مباحة، والرأي مصان في هذه المناظرات الفكرية، رغم الاجتهادات الفقهية بين المذاهب، لأن أصول المسلمين واحدة وهي لا تخضع للاجتهاد، وإن الفروع كانت تسايها الاجتهادات ووجهات النظر، وقد تكون هذه الحالة بين فقهاء المذهب الواحد، ولنا في التنافس العلمي والفكري بين القاهرة الفاطمية وبغداد العباسية خير دليل على التنافس في العلوم والمعارف والآداب، فقد كان الأزهر الشريف مؤسسة علمية كبيرة قد أمدت العالم الإسلامي بالأصول المعرفية، وإن بيت الحكمة في بغداد ملتقى رجال العلم والفكر، وإذا كان ماضينا قد سار وفق هذه الحرية فالأجدربنا اليوم أن نسير وفق خطوات الماضي، واعتقد أن الدعوة الجديدة للفاطمية الثانية سوف تعيد للأمة مجدها وسؤدها، بارك الله العاملين المخلصين لتحقيق هذا الهدف، وبارك الله للعاملين الذين أقاموا هذه الندوة العلمية، نرجو من الله العليّ القدير أن يحفظ أمانى الأمة ويعيد مجدها الزاهر التليد، إنه نعم المولى ونعم النصير .

